الفضل بن سهل وزير المأمون
نموذج للتخريب الفارسي في السياسة العباسية

د. فاروق عمر فوزي
كلية الآداب / جامعة بغداد

مقدمة :

ليس من شك في أن المأمون يعتبر من أبرز خلفاء بني العباس في مطالع عهدهم. فقد شهد عهده فترة ازدهار علمي واتسم بحركة تأليف وترجمة واسعة. ثم أن المأمون كان أول خليفة عباسي يتخذ الاعتزال مذهباً رسمياً باعتباره حلاً وسطاً بين مذهب أهل السنة والجماعة ومذهب الشيعة العلوية، مؤملاً أن ذلك سيؤدي الى ترضية المعارضة والتخفيف من الحركات السياسية. ثم إن المأمون تميز باتخاذ موقف ودّي يتسم بالمرونة والتوفيق مع العلويين بل ذهب أكثر من ذلك حين بايع لعلي بن موسى الرضا سنة ٢٠١ هـ / سنة ٨١٧ م بولاية العهد.

ولا ننسى أن المأمون خاض صراعاً مريراً ضد أخيه الخليفة محمد الأمين من اجل الحفاظ على حقوقه بولاية العهد، وقد تطور هذا الصراع إلى حرب أهلية مسلحة ظهرت خلالها، بعد أن انكشفت الأقنعة، أطماع الشعوبية ودسائس العناصر الفارسية التخريبية التي استغلت تلك الفترة الحرجة لتضرب الكيان العربي وما يمثله من قيم ومثل اسلامية وتحل محله قيمًا فارسية وتقاليد مجوسية كلما أمكنها ذلك.

في ظروف كهذه وتحت وطأة التيارات المتباينة، برز الفضل بن سهل إلى جانب المأمون واستطاع بما أوتي من مقدرة وذكاء أن يكون الرجل الأول والوزير القوي الذي يدير الأمور بيديه. واستغل الفضل بن سهل تأثيره على المأمون فعزله عن بقية صحابته وخاصة العرب منهم وأخذ يحرك الأمور من وراء الستار باسم المأمون.

سيرة الفضل بن سهل الأولى:

الفضل بن سهل فارسي مجوسي. كان أبو زرادشتياً من قرية بضواحي الكوفة، أسلم في أيام الرشيد واتصل بالبرامكة وعمل وكيلاً ليحيى البرمكي. ثم قدَّم ولديه الفضل والحسن للبرامكة [1].

وقد عرف الفضل بن سهل بذكائه وطموحه وقوة إرادته.. وكان يتقن الفارسية إضافة إلى العربية. وقد أثار الفضل بن سهل انتباه يحيى البرمكي حين ترجم كتاباً من الفارسية إلى العربية. فأعجب بعقله وأسلوبه وطلب إليه أن يدخل الإسلام حيث كان لا يزال على المجوسية فقبل، وعندئذ أدخله جعفر البرمكي على المأمون الذي كان تحت وصاية جعفر البرمكي فأسلم على يديه سنة ١٩٠ هـ / سنة ٨٠٦ م [2]. وعلى ذلك فإن الفضل بن سهل كان حديث العهد جداً بالإسلام!!

ومنذ ذلك التاريخ ظل آل سهل ملازمين للبرامكة.. الفضل بن سهل مع جعفر البرمكي والحسن بن سهل في خدمة الفضل البرمكي. وقد ورث آل سهل آراء البرامكة وتقاليدهم كما ورثوا طموحاتهم وبراعتهم في تحريك الأمور عن طريق التأثير على الخليفة. وفي رواية

---

(١) الجهشياري، الوزراء والكتاب، ص٢٢٩ ـ ٢٣٢. الخطيب، تاريخ بغداد جـ١٢ ص٣٣٩. راجع كذلك دائرة المعارف الإسلامية، الطبعة الجديدة، (الفضل بن سهل).

(٢) الجهشياري، ٢٣١. ـ الطبري، تاريخ، الطبعة الأوروبية، القسم الثالث، ص٧٠٨ ـ ٧٠٩.

للجهشياري أن يحيى البرمكي أثار طموحات الفضل بن سهل حين قال له:

«في كل أربعين سنة يحدث رجل يجدد الله به دولة وانت عندي منهم» [٣].

وسواءٌ صحت هذه الرواية تاريخياً أم لم تصح فإنها تدل على مدى تأثير البرامكة في نشأة الفضل بن سهل بحيث أصبح صنيعتهم والمؤتمر بأمرهم، وأنهم علقوا آمالا على تعاون آل سهل معهم. والجدير بالذكر هنا أن الفضل بن سهل أخذ مكان جعفر البرمكي بالنسبة للمأمون فأصبح وصياً عليه ومرافقاً له ومستشاره بعد مقتل جعفر البرمكي [٤].

وتظهر خطط الفضل بن سهل المستقبلية وبُعد نظره حين الحَّ على المأمون بالسفر مع الخليفة هارون الرشيد سنة ١٩٢ هـ / سنة ٨٠٨ م إلى خراسان لقمع تمرد رافع بن الليث. فقد نصحه بالطلب من أبيه الرشيد أن يسمح له بالذهاب إلى خراسان[٥]، وهي الولاية التي عينه أميراً عليها حسب وصيته الأخيرة. وقد حذَّر الفضل بن سهل المأمون بأن بقاءه في بغداد إلى جانب الأمين سيحرمه إن عاجلاً أم آجلاً من حقوقه في ولاية العهد.

لقد كان للقرار الذي اتخذه المأمون ـ بتوجيه من الفضل بن سهل ـ بالسفر إلى خراسان في حياة أبيه الرشيد أثره الكبير على الأحداث القادمة، ذلك لأن الرشيد لم يلبث أن توفي فجأة سنة ١٩٣ هـ / سنة ٨٠٩ م في طوس، فانقسم قواد الجيش الذين معه الى قسمين: قسم بزعامة الفضل بن الربيع الذي أمر الناس بالعودة الى بغداد، وقسم بقي في معيّة المأمون حيث كانت أوامر الرشيد تدعو لذلك. وقد أغضب هذا الفعل

---

(٣) الجهشياري ص

(٤) الطبري، القسم الثالث، ص ٧٠٨ ـ ٧٠٩

(٥) الجهشياري، ص ٢٦٦ . ـ الطبري، القسم الثالث، ص ٧٣٠ فما بعد

المأمون وأشار عليه مجموعة من قواده بقتالهم وردّهم إليه. ولكن الفضل بن سهل أشار على المأمون بأن لا يجنح للقوة بل يرسل مندوبين إلى وزير الأمين الفضل بن الربيع طالباً منه احترام العهود والمواثيق. ولما رفض المنشقون طلب المأمون جزع هذا الأخير إلا أن مستشاره الفضل بن سهل هدأ من روعه مستعرضاً له دروس التاريخ وعبرها مؤكداً له بأن موقفه أقوى من مواقف الخلفاء الذين سبقوه قائلاً:

«وكيف بك وأنت نازل في أخوالك وبيعتك في أعناقهم» (٦).

ثم تعهد الفضل بن سهل للمأمون في ختام كلامه قائلاً:
« اصبر وأنا أضمن لك الخلافة» (٧).

وهنا توضح رواياتنا التاريخية قائلة بأن أم المأمون كانت أم ولد فارسية اسمها مراجل ولذلك تعلق الفرس به وقالوا: «ابن أختنا وابن عم رسول الله».

ومنذ تلك اللحظة أصبح الفضل بن سهل قائمًا بأعمال المأمون ومستشاراً له ومديراً لشؤونه السياسية والادارية.

نفوذ ابن سهل على المأمون:

بقي الفضل بن سهل في بداية الأمر يحرك الأمور من وراء الستار باعتباره من صحابة المأمون ومستشاريه حيث لم يشغل منصباً رسمياً عالياً. فقد كان وزير المأمون منذ وفاة الرشيد أيوب بن أبي سمير، كما وان الفضل بن سهل أشار على المأمون أن يوزع السلطات الإدارية إلى عدد من الرجالات البارزين وأصحاب الخبرة، ولكن هؤلاء رفضوا وأبدوا تحرصهم من التدخل بين أمير المؤمنين [الأمين] وأخيه [المأمون]. وهكذا انتقلت كل السلطات الى الفضل بن سهل. ولا نستبعد بأن ذلك كان

---

(٦) الجهشياري ص ٢٧٨. ـ الطبري القسم الثالث ٧٧٣ ـ ٧٧٤.
(٧) المصدر السابق.

حركة سياسية بارعة أشار بها الفضل بن سهل للمأمون وهو يعلم مواقف هؤلاء الرجال مسبقاً، من أجل أن يجعل المأمون أكثر اعتماداً عليه ولفرض حصر السلطة بين يديه[٨]. وهذا ما تم فعلاً!!! ولعل أكبر دليل على قوة نفوذ الفضل بن سهل في هذه الفترة المبكرة من امارة المأمون على خراسان هو ظهور اسم الفضل على النقود[٩] مما يشير إلى أنه المسيّر للأمور والحاكم بأمره.

لقد رسم الفضل بن سهل الخطوط الرئيسة والمنهج العام لسياسة المأمون في خراسان حيث نصحه بالتودد إلى رجال الدين وتقريب القادة العسكريين، واتباع سياسة مرنة متسامحة مع ملوك المقاطعات من الفرس والترك في بلاد ما وراء النهر ويشمل هذا المخطط كذلك عقد اجتماعات لتوضيح سياسته المبنية على احترام مبادىء الكتاب والسنة وتطبيقها وفتح أبوابه للمظالم والأمر بتخفيض الضرائب عن الرعيَّة[١٠]. وقد كان الفضل بن سهل قد كتب وصية للمأمون فيها عدد من النصائح السياسية أعلنها المأمون في مسجد مرو أمام الناس فقال:

«أيها الناس إني جعلت الله على نفسي ان استرعاني أموركم أن أطيعه فيكم ولا أسفك دماً عمداً لا تحله حدوده وتسفكه فرائضه، ولا آخذ لأحد مالاً ولا أثاثاً ولا نحلة تحرم عليَّ، ولا أحكم بهواي في غضبي ولا رضاي إلا ما كان في الله له. جعلت ذلك كله عهداً مؤكداً وميثاقاً مشدداً، إني أفي رغبة في زيارته إياي في نعمي ورهبة في مسألته إياي عن حقه وخلقه. فإن غيرت أو بدلت كنت للعير مستأهلاً وللنكال متعرضاً وأعوذ بالله من سخطه وأرغب إليه في المعونة على طاعته وأن يحول بيني وبين معصيته»[١١].

---

(٨) راجع سورويل، الوزارة العباسية الجزء الأول ص ١٩٨ (بالفرنسية)

(٩) راجع Milse, The Numismatic History of Ray, 98 كذلك سورويل، المصدر السابق، ص ٢٠٣.

(١٠) راجع: الطبري، القسم الثالث، ص ٧٧٤.

(١١) الجهشياري، ص ٢٧٩.

ولا بد من القول بأن الفضل بن سهل وأخاه الحسن يعتبران المسؤولين عن الإجراءات العسكرية الموجهة ضد بغداد والخليفة محمد الأمين. فقد عارضا بقية صحابة المأمون ومستشاريه وحملاه على رفض كل مطالب الأمين باعتبار أن قبوله شرطاً واحداً سيؤدي به في النهاية إلى الإذعان للشروط الباقية!!. وقد نظم الفضل بن سهل الجيش كما أرسل بعض أعوانه عيوناً إلى بغداد تراقب تحركات جيش الخليفة والخطط التي ستتبع ضد المأمون في خراسان (١٢). كما وان الفضل بن سهل كلف طاهر بن الحسين الفارسي لقيادة الجيش لملاقاة علي بن عيسى بن ماهان قائد جيش الأمين. وكان هذا الموقف من أحرج المواقف السياسية التي مر بها المأمون، فقد كان يدرك تفوق جيش العراق كما وأن بعض عناصر الجيش في خراسان بدأت تضطرب (١٣). على أن النتيجة - كما سنرى - كانت إلى جانب المأمون حيث أعلن نفسه خليفة على المشرق وتولى الفضل بن سهل في رجب سنة ١٩٦ هـ / آذار سنة ٨١٢ م الإدارة المدنية والعسكرية لكل الأقاليم، من همدان إلى التبت ومن الخليج العربي إلى بحر الخزر ومنحه المأمون لقب «ذو الرئاستين» رئاسة التدبير ورئاسة الحرب أو الإدارة المدنية والعسكرية (١٤). ومنذ هذا التاريخ أصبح الفضل بن سهل رسمياً وزيراً للخليفة المأمون الذي أعطاه لقب الأمير كما يؤكد الجهشياري ذلك. وقد أشار المأمون في توقيع له للفضل بن سهل قائلاً:

«أغنيت يا فضل بن سهل بمعاونتك إياي على طاعة الله وإقامة سلطاني فرأيتُ أن أغنيك... وقد جعلت لك بعد ذلك مرتبة من يقول في كل شيء فيسمع منه، ولا تتقدمك مرتبة أحد ما لزمت ما أمرتك به

---

(١٢) راجع سورويل، الوزارة العباسية، الجزء الأول ص٢٠٠.

(١٣) الجهشياري، ص ٢٩٣.

(١٤) الطبري، القسم الثالث، ص ٨٤١. - الجهشياري ص ٣٠٥-٣٠٦. - التنوخي الفرج بعد الشدة، جـ١ ص ١٠٥.

من العمل لله ولنبيّه والقيام بصلاح دولة أنت ولي قيامها» [١٥].

ونستطيع أن نتبين من السكة التي ضربت على نقود الأقاليم الشرقية [١٦] والتي ظهر عليها اسم الفضل بن سهل وألقابه مدى نفوذ الفضل الذي امتد، بعد سقوط بغداد وتعيين أخيه الحسن بن سهل والياً عليها، ليشمل النقود المضروبة في بلاد الشام ومصر. وهذا يدل على أن الفضل بن سهل كان وزيراً ذا سلطات واسعة تقارن بسلطات البرامكة حيث ظهر اسمه على النقود إلى جانب اسم الخليفة. وتؤيد نصوص أخرى [١٧] أن الفضل بن سهل حمل ألقاباً أخرى تدل على اضطلاعه بمسؤوليات أخرى، مثل رئيس حرس الخليفة وصاحب دواته وهي أدلة أخرى على ما يتمتع به الفضل بن سهل من نفوذ كبير من أجل «القيام بصلاح الدولة» على حد قول المأمون نفسه.

وقد نظم الفضل بن سهل حملات عسكرية الى الأقاليم الشرقية مثل الصغد وأشروستة ومزغانة. وتشير روايات تاريخية بأنه انتصر على ملك كابل الذي دخل الإسلام كما أخضع مناطق أخرى التي أرسلت هدايا الى الخليفة أو إلى مكة حيث عرضت في الكعبة للدلالة على انتصارات الفضل بن سهل وجهوده لاضافة أقاليم جديدة إلى الدولة العباسية (دار الإسلام).

الفضل بن سهل والحرب الأهلية:

حدث الصدام المتوقع بين الخليفة الأمين وأخيه المأمون. وقد لعبت حاشية الخليفة الأمين وعلى رأسها الفضل بن الربيع وحاشية المأمون وعلى

---

(١٥) ويسمى هذا الكتاب (كتاب الشرط والحياء) راجع اليعقوبي جـ٣ ص١٧٩. ـ كذلك الجهشياري، ص ٣٠٦. الدكتور عبد العزيز الدوري، العصر العباسي الأول، ص ٢١١

(١٦) راجع: Miles. op. cit., p. 98 - Sourdel.op. cit. p. 203

(١٧) الجهشياري ص ٣٠٦. ـ سورويل، المصدر السابق، ص ٢٠٣ ـ ٢٠٤.

رأسها الفضل بن سهل دوراً بارزاً في وقوع ذلك الصدام المسلح.

تحرك جيش الأمين بقيادة علي بن عيسى بن ماهان في أواخر سنة ١٩٥ هـ والتقى بجيش المأمون بقيادة طاهر بن الحسين. وكانت المفاجأة أن ينتصر طاهر بن الحسين على علي بن عيسى بن ماهان الذي قتل في المعركة[١٨]. وقد زاد هذا الانتصار من معنوية جيش المأمون فألحق انتصاره بانتصارين آخرين،رغم أن قواد الأمين بذلوا جهداً مضاعفاً في تقوية معنويات جندهم حيث أشار أحدهم إلى جند المأمون قائلاً:

«إنهم العجم وليسوا بأصحاب مطاولة ولا صبر»

على أن الأمين تابع إرسال الجيوش لصد طاهر بن الحسين، فقد أرسل أحمد بن يزيد بن مزيد الشيباني مع جيش جديد،ثم اتبعه بجيش آخر يقوده عبد الله بن حميد الطائي. ثم حاول اعداد جيش آخر من القبائل العربية في بلاد الشام معتمداً في ذلك على عبد الملك بن صالح العباسي. وذهبت كل هذه المحاولات سدى، ولم يواجه طاهر بن الحسين وهو يتقدم نحو العراق مقاومة تذكر. وفي سنة ١٩٧هـ/ ٨١٢م حاصر طاهر بن الحسين بمعونة القائد هرثمة بن أعين بغداد وضيّق على أهلها الذين صمدوا لأشهر عديدة مع الأمين. وقد صوّر لنا شعراء بغداد تلك الفترة الحرجة من تاريخها أروع تصوير. وتعتبر قصائدهم لوحات نضالية معبرة عن ذكريات أهل بغداد وهم يقاومون محاولة طاهر بن الحسين ومن ورائه الفضل بن سهل احتلال بغداد. وسقطت بغداد بيد طاهر وجيشه المكوّن في غالبيته من العجم، وقتل طاهر الخليفة الأمين رغم أوامر المأمون الصريحة بأسره[١٩]. ولذلك استغرب الفضل بن سهل صنيع طاهر فقال:

---

(١٨) حول الحرب الأهلية راجع الطبري، القسم الثالث، ص ٨٤٥ فما بعد.

(١٩) راجع محمد مصطفى هدارة، المأمون، الدار المصرية، ١٩٦٦ ص ٥٧ فما بعد.

«ما فعل بنا طاهر؟ سلَّ علينا سيوف الناس وألسنتهم. أمرنا أن يبعث به أسيراً فبعث به عقيراً»!![٢٠].

وإذا كان الفضل بن سهل قد استطاع أن يقضي على الأمين ويسيطر على المأمون سيطرة تامة حتى حجب عنه صحابته وأهل بيته وقطع عنه الأخبار، وبدأ يستبد بالرأي دونه وأبقاه في مرو دون أن يحثه على الرجوع إلى بغداد.. إذا كان الفضل بن سهل قد استطاع ذلك كله فإنه من ناحية أخرىٰ اصطدم بمعارضة شديدة من العراق عامة وأهل بغداد بصفة خاصة. فقد عين الفضل بن سهل أخاه الحسن والياً على العراق بينما أبعد طاهر بن الحسين إلى الجزيرة الفراتية لقمع ثورة فيها. وقد أثارت هذه السياسة الهاشميين في العراق من عباسيين وعلويين وسهلت حركات عديدة أخرىٰ. فقد خرج نصر بن شبث العقيلي على الخلافة في الجزيرة الفراتية وانضمت إليه القبائل العربية وأعلن عن سبب ثورته قائلاً:

«إنما حاربتهم [أي المأمون ونظامه] محاماة عن العرب لأنهم يقدّمون عليهم العجم»!![٢١].

فكان طبيعياً والحالة هٰذه أن تكون أولىٰ الثورات ضد المأمون ثورة عربية ضد تسلط الفرس ونفوذهم كما فهمه نصر العقيلي. ثم اشتعلت ثورات أخرىٰ في العراق قادها علويون وغير علويين، ولكن القائد هرثمة بن اعين استطاع أن يعيد الاستقرار إلى العراق. وكما فعل الفضل بن سهل مع طاهر حين أبعده إلى الجزيرة الفراتية فعل مع هرثمة بن أعين حيث ولّاه الشام والحجاز من أجل إبعاده. وإذا كان طاهر بن الحسين قد أبعد بعد وقت قصير من انتصاره على الأمين، فإن هرثمة بن اعين استطاع، بالرغم من كل الصعوبات التي وضعت في

---

(٢٠) الطبري، القسم الثالث، ص ٩٤٩. ـ الجهشياري ٣٠٤.

(٢١) راجع فاروق عمر، ثائر من أجل العرب، مجلة العرب، العدد ٧، ١٩٧١.

طريقه، أن يصل إلى مرو وأن يقابل المأمون ليطلعه على حقيقة الوضع السياسي في العراق وسائر أجزاء الخلافة. وقد واجه الخليفة صراحة بقوله:

«قدّمتَ هذا المجوسي على أوليائك وأنصارك»

ثم أشار إلى الفضل قائلاً:(٢٢)

«الحمد لله الذي لم يمتني حتى رأيت هذا المجوسي في هذا المجلس على كرسي»!!

ويبدو أن الفضل بن سهل قلدّ الساسانيين في اختياره كرسياً مجنحاً كان يُحمل عليه إذا دخل على المأمون حيث يقول الجهشياري:

«وإنما ذهب ذو الرياستين في ذلك مذهب الاكاسرة، فإن وزيراً من وزرائها كان يحمل في مثل هذا الكرسي»(٢٣).

ومهما يكن من أمر فإن المأمون لم يستمع لهرثمة بن اعين بسبب تأثير الفضل بن سهل الذي اوغر صدر الخليفة وصور هرثمة في صورة المتمرد الذي رفض اطاعة أوامر الخليفة بتولي الشام، ولذلك أمر المأمون بسجنه ثم ما لبث الفضل بن سهل أن قتله في السجن. لقد دفع هرثمة بن اعين حياته دفاعاً عن العروبة ضد الهجمة الفارسية التي مثلتها سياسة الفضل بن سهل.

الفضل بن سهل وولاية العهد:

أعتقد المأمون ومن ورائه الفضل بن سهل أن الوضع قد استقر بعد الحرب الأهلية ولكن الأمور عل العكس تعقدت أكثر بسبب مبادرة سياسية جديدة يبدو أن الفضل بن سهل يتحمل مسؤولية كبيرة فيها،

---

(٢٢) الجهشياري ٣١٣ ـ ٣١٧. ـ اليعقوبي، جـ٣ ص ١٧٨.

(٢٣) الجهشياري ص ٣١٦.

وهذه المبادرة هي البيعة بولاية العهد لعلي الرضا[٢٥].

إن استمرار المأمون على اتخاذ مرو عاصمة له واستمرار توزيره للفضل بن سهل الفارسي ثم اختياره لعلوي بدلاً عن عباسي لولاية العهد.. كل هذه الإجراءات نظر إليها أهل بغداد بأنها دلائل تحول المأمون عن العراق نحو خراسان، واشارة إلى ميوله الفارسية فاندلعت ثورة أهل بغداد ضد الحسن بن سهل رافعةً شعار:

«لا نرضى بالمجوسي بن المجوسي الحسن بن سهل».
حيث عُين الحسن والياً على بغداد. كما اعتقد أهل بغداد أن البيعة لعلي الرضا كانت من تخطيط الفضل بن سهل فقالوا:

«هذا دسيس من الفضل بن سهل»

وفي رواية تاريخية أخرى حول البيعة: «كان الفضل بن سهل هو القائم بهذا الأمر والمحسن له». كما اتهم أحد زعماء العرب المعارضين للبيعة الفضل بن سهل بأنه يحتال «ليصير الملك كسروياً». ويميل إلى هذا الرأي الدكتور عبد العزيز الدوري[٢٥]. حيث يرى بأن تأثير الفضل كان كبيراً بسبب كثرة الروايات التي تؤكد ذلك أولاً، وبسبب رغبة الفضل في إرجاع سلطة الفرس لأن نقل الخلافة إلى علوي معناه إبقاء مركزها في مرو لعدم رغبة أهل بغداد بمبايعة علوي ثانياً.

وأكثر من ذلك فإن الفضل بن سهل، اعتقاداً بقدرته على تحطيم المعارضة بسهولة وسرعة. لم يخبر الخليفة بردود الفعل في العراق وبيعة أهل العراق لإبراهيم بن المهدي، بل أظهره وكأنه أمير على العراق أو ممثل للمأمون هناك. على أن الذي أربك خطط الفضل بن سهل هو علي

---

(٢٤) حول هذا الموضوع راجع فاروق عمر، بحوث في التاريخ العباسي، ص ١٣٤ فما بعد.

(٢٥) الدوري، المصدر السابق، ص ٢٠٨ فما بعد.

الرضا نفسه، فإن تقاه وعدم طموحه جعله على طرفي نقيض مع الفضل بن سهل. ولم تكن علاقة الرضا بالفضل ـ ودية، بل ان الرضا أظهر امتعاضه من تدابير الفضل بن سهل وأنه هو الذي أخبر المأمون في نهاية المطاف بحقيقة الوضع في العراق. وقد فوجىء المأمون واستفسر من صحابته ورجالات بلاطه فأكدوا للمأمون ما ذكره علي الرضا من سوء الحالة وتفاقم الاضطرابات، ونددوا بسياسة الفضل بن سهل وأشاروا إلى اغتيال هرثمة بن اعين الذي لم يرتكب ذنباً سوى محاولته حماية الدولة والخليفة من سوء تدبير ابن سهل. وانتقدوا نفي طاهر بن الحسين إلى الرقة بينما كان بالامكان الاستفادة من خبرته في تهدئة الأحوال. وحرضوا المأمون بصورة غير مباشرة بضرورة التخلص من الفضل بن سهل[٢٦]. وحينذاك قرر المأمون العودة إلى بغداد كما ويبدو أنه توصل إلى قناعة بضرورة التخلص من الفضل بن سهل وعلي الرضا اللذين عقدا الموقف السياسي.

ميول الفضل بن سهل الفارسية:

يتفق غالبية المؤرخين حول رغبة الفضل بن سهل الجامحة للأنفراد بالسلطة ودكتاتورية الحكم مشفوعة باحياء الشعائر الملكية الساسانية التي طواها الزمان. إن هاتين الصفتين وظروف الحرب الأهلية وما أعقبها من أحداث، دفعت الفضل بن سهل إلى ارتكاب أخطاء أو اتخاذ اجراءات خلقت له أعداء كثيرين في البلاط العباسي وخارجه. وبدلاً من أن يعدل سياسته فإنه أمعن في اجراءاته السياسية فاتبع سياسة غير حكيمة لم يقدر عواقبها، كان من نتائجها المعارضة الشديدة للعراق عامة وأهل بغداد خاصة له فوصفوه بشتى النعوت واتهموه بأنواع التهم. كما وأن عداء ال[illegible] العرب له وكذلك عداء العباسيين الموجودين في العراق، دفعه

---

(٢٦) اليعقوبي، تاريخ، جـ٣ ص١٨٠ فما بعد.

إلى الرغبة في إبقاء الادارة في مرو عاصمة خراسان وإبقاء الخليفة هناك وهذا الاجراء أكدَّ نزعته الفارسية ورغبته في إحياء التقاليد الساسانية في الحكم.

إن النزعة الفارسية في سياسة الفضل بن سهل كانت بارزة حيناً ومستترة حيناً آخر. ولعل بوادرها ظهرت في تمسكه بالمجوسية وإسلامه المتأخر ثم في ارتباطه بالبرامكة ثم في وقوفه إلى جانب المأمون في الخلاف حول ولاية العهد بينه وبين الأمين حين قال للمأمون معززاً ثقته بنفسه: «وكيف بك وأنت نازل في أخوالك [الفرس] وبيعتك في أعناقهم!!».

وحين أصبح الفضل بن سهل في مرتبة لا تتقدمها مرتبة أحد ونال الرياستين، جلس على كرسي مجنح يحمله شخصان ذوي مرتبة كبيرة «وإنما ذهب ذو الرياستين في ذلك مذهب الأكاسرة». وهذا يدل على ادخاله التقاليد الفارسية إلى البلاط العباسي ونزعته إلى التشبه بالفرس. وأكثر من ذلك فقد حجب الفضل بن سهل الحقائق عن الخليفة وشوه الأخبار حول تمرد العراق وتنصيبه خليفة جديد. على أن أهل بغداد أدركوا حقيقة سياسة الفضل بن سهل الفارسية وسعيه لاحياء الارث الساساني المباد وأبدوا تخوفهم قائلين:

«وقد خشينا أن تذهب هذه الدولة بما حدث من تدبير المجوس»[٢٧].

وقد أشرنا سابقاً كيف ضحى هرثمة بن اعين بنفسه حين صرح للمأمون بنوايا الفضل بن سهل الفارسية المجوسية قائلاً:

«قدمّت هذا المجوسي على أوليائك وأنصارك»[٢٨].

بل أن أحد صحابة المأمون من العرب صرخ في وجه الخليفة قائلاً «يا أمير الكافرين»[٢٩]. بسبب وقوعه تحت تأثير الفضل بن سهل، ولكن

(٢٧) اليعقوبي، المصدر السابق، جـ٣ ص ١٧٩.

(٢٨) المصدر السابق، جـ٣ ص ١٧٩.

(٢٩) راجع: محمد مصطفى هدارة، المصدر السابق، ص ٦٩ ـ ٧٠

المأمون قتله في الحال وهو يحيىٰ بن عامر بن إسماعيل. وكان أحد شيوخ العرب من ذوي المراتب الكبيرة عبد الله بن مالك الخزاعي من أشد أعداء آل سهل الذين كادوا له عند الخليفة فأمر باهانته والتشهير به علانيّة!! (٣٠). وربما كان نعيم بن خازم التميمي أكثر الشخصيات العربية وضوحاً في الكشف عن النزعة الفارسية المجوسية لدىٰ الفضل بن سهل حين قال مخاطباً الفضل في مجلس المأمون: (٣١):

«إنك إنما تريد أن تزيل الملك عن بني العباس إلى ولد علي ثم تحتال عليهم فتغير الملك كسروياً، ولولا أنك أردت ذلك لما عدلت عن لبسة علي وولده وهي البياض، الى الخضيرة وهي لباس كسرى والمجوس»!!

ثم خاطب الخليفة قائلاً:

«الله الله يا أمير المؤمنين لا يخدعنك عن دينك وملكك»!!

لقد أدرك نعيم بن خازم التميمي خطة الفضل بن سهل للبيعة للرضا حيث اراد أن يجعل من الرضا ألعوبة بيديه في الوقت الذي ينفذ هو مؤامرته في إعادة المجد الفارسي البائد والابقاء على مركز الدولة في مرو بخراسان. ولكن الرضا لم يقبل أن يكون بهذا الوضع فصارح المأمون كما أشرنا الى ذلك سابقاً. ومما يؤكد إدراك الجماهير لهذه المؤامرة موقف أهل بغداد حين أبدوا وجهة نظرهم في أمر البيعة فقالوا:

«إنما هذا دسيس من الفضل بن سهل»(٣٢).

نهاية الفضل بن سهل:

أصبح الفضل بن سهل سنة ١٩٦هـ - ٢٠٢هـ الوزير القوي في

---

(٣٠) المصدر السابق ص ٧٠..

(٣١) الجهشياري ص ٣١٣.

(٣٢) الطبري، تاريخ القسم الثالث، ص١٠١٣.

الدولة العباسية وتمتع بسلطات دكتاتورية واسعة، حيث حصل على شرف الوزارة والامارة فأعطى بريقاً خاصاً طول تلك الفترة[٣٣]. وكان الفضل بن سهل ذا طبيعة تحب الحكم والنفوذ ولم يتورع عن اتخاذ أي اجراء من أجل الابقاء على ذلك النفوذ وعلى حد قوله:

«ما دام ما أنا فيه فالدنيا كلها صنيعتي وعقدي»[٣٤].

وفي حديث مع مؤدب المأمون قال:

«والله ما صحبته [أي المأمون] لأكتسب مالاً قل أو جل، ولكن صحبته لكي يمضي حكم خاتمي هذا في الشرق والغرب»[٣٥].

وإذا صحت الرواية التي تشير بأن الفضل بن سهل كان يردد الأبيات التالية:[٣٦]:

لئن نجوت أو نجت ركائبي
من غالب ومن لفيف غالب
إني لنجاء من الكرائب

نقول إذا صحت هذه الرواية فإنها توضح سياسته الفارسية التي تخالف مصلحة الدولة العباسية ونزعتها الميالة إلى العروبة وعقيدتها الإسلامية.

إن قرار المأمون بالعودة إلى بغداد عاصمة الخلافة العباسية بعد أن استوثق من حقيقة الوضع المتدهور في العراق والأقاليم الأخرى وبعد أن أكد له صحابته بأن «الأرض تفتقت بالشرور والفتن من أخطارها»[٣٧].

---

(٣٣) راجع: سورويل، المصدر السابق، جـ١ ص ٢١١.
(٣٤) هدارة، المصدر السابق، ص ٥٩.
(٣٥) المصدر السابق، ص ٤٨ - ٤٩.
(٣٦) اليعقوبي، جـ٣ ص ١٨١.
(٣٧) ويشير كتاب الفخري ان بعض قادة المأمون حذروه بان «يستدرك الأمر وإلا خرجت الخلافة من يدك» ص ١٦٤ فما بعد.

إن هذا القرار يعتبر منعطفاً مهمًا في سياسة المأمون حيث أراد أن يواجه التحدي السياسي بنفسه «بدلاً من اخفاء رأسه في أكاذيب الفضل بن سهل التي أراد أن ينسج منها مجد الفرس لا مجد العرب» على حد قول الدكتور هدارة(٣٨).

ولعل أول بادرة للتغير السياسي أو للسياسة الجديدة هي مقتل الفضل بن سهل في سنة ٢٠٢هـ / ٨١٨م في مدينة سرخس في طريق العودة إلى بغداد. وقد قتل الفضل بن سهل في الحمام وشارك في قتله عدد من خدم الخليفة المأمون برئاسة غالب صاحب ركاب الخليفة. وقد حاول الفضل بن سهل رشوته انقاذاً لحياته . فقال له غالب: «ليس بأوان تملق ولا رشوة». وبعد أن نفذ هؤلاء الرجال الأوامر بقتل الفضل بن سهل، قتلهم المأمون جميعاً وقتل معهم من اشتبه به بالاشتراك في عملية القتل.

ورغم أن المأمون حاول أن يدرأ عن نفسه أي علم بالاغتيال، إلا أن الروايات التاريخية(٣٩) تؤيد دوره الرئيس في العملية، حيث إن سياسته الجديدة لا تسمح بوجود الفضل بن سهل على دفة الوزارة. وبمقتل الفضل بن سهل استطاع الخليفة إيقاف المد الفارسي في الادارة والبلاط، ورغم أنه استوزر الحسن بن سهل لفترة قصيرة وتزوج بابنته بوران إلا أن ذلك كان للتمويه. فقد باشر المأمون الأعمال بنفسه واستكتب كتاباً عديدين بدل الوزير(٤٠).

لقد كان مقتل الوزير القوي الفضل بن سهل بداية لاجراءات

---

(٣٨) هدارة، المصدر السابق، ص ٧٦

(٣٩) اليعقوبي، جـ٢ ص ٥٤٩ (الطبعة الأوروبية). ـ الطبري القسم الثالث، ١٠٢٧ . ـ الأصفهاني، الأغاني، جـ٩ ص ٣١ . ـ الخطيب، تاريخ بغداد جـ١٢ ص، ٣٦٣ ـ ابن خلكان، وفيات الأعيان، جـ٣ ص ٢١٢.

(٤٠) سورويل، الوزارة العباسية جـ١ ص ٢١٣ فما بعد.

الكمون	alcamonias
كبابه	cubeba
كثيراء	alquitira
كـركم	curcuma
أفاويه	alefanginas

في الصناعــة:

كانت الحياة الأسبـانية العـامة عـرضة لسيـل جارف من المصـطلحات الحضـارية العـربية في مختلف مجـالات المعرفـة والتقنية. والصناعة، بطبيعة الحال، تكوّن قطاعاً أساسياً من هذه الحياة. وشبيه بما تتعرض له حياتنا اليومية في هذا العصر الحديث، من مستحدثات العلم والتكنولوجيا، فتتوالى على لغتنا أسماء ومصطلحات لحاجات مبتكرة لم تكن معروفة لدينا، فيستعملها الناس بـأسمائهـا الأجنبية محـرفة عـلى ألسنتهم بما يتفق مع متطلبات أصوات لغتنا وقوانينها، فإن شيئاً مثل هذا كان يحدث للحياة الاجتماعية واللغوية في أسبانيا، خلال الحكم العربي وبعده لمدة طويلة، فكانت المستحدثات التقنية العربية تتوالى فتفـرض نفسها عليهم وبنفس ألفاظها، مع تحريف في نطقهـا وصورة رسمهـا تتطلبها طبيعة لغتهم، فتتأثر الكلمة العربية بهذا وبمؤثرات اجتمـاعية معقدة لتستقر في اللغة الأسبانية على صورة ترتضيها. وقد تـأتي هذه الصورة، وهو الغالب على الكلمات العربية التي استعارتها الأسبانية، على شكل صوتي مشابه كثيراً أو قليلاً لصورة نطقها بالعربية، وقد تكون هذه الصورة بعيدة عن هذه الصورة العربية، وهذا هو الأقل في هذه الألفاظ المستعارة.

وقصدنا، هنـا، أن نعطي صـورة عامـة لمجموعـة من الألفاظ الصناعية العربية التي استعارتها الأسبـانية، وكـونت رصيداً كبيـراً في قاموسها اللغوي والحضاري.

أخرىٰ سياسية وادارية في نظام الحكم العباسي، منها ما يتعلق باتجاهات السياسة العباسية ومنها ما يخص سلطة الخليفة أو منصب الوزير. حتى أن الوزير الجديد أحمد بن أبي خالد الأحول طالب الخليفة أن يعفيه من التمسي بالوزير وأن يطالبه بالواجب فيها[٤١]. ولعل الأهم من ذلك كله فإن وزارة الفضل بن سهل عكست المدىٰ الذي يمكن أن يصل إليه التخريب الفارسي في سياسة الخلافة العباسية، ذلك لأن سياسة الفضل بن سهل كانت تمثل انقلاباً جذرياً علىٰ السياسة العباسية التقليدية التي اتسمت بالتوفيق والموازنة بين فئات المجتمع المتنوعة مع الحفاظ على مركز العرب في الصدارة وتشجيع الثقافة العربية والارث الإسلامي بالدرجة الأولىٰ. ومن هذا المنطلق فإن سقوط الفضل بن سهل يعتبر في نظرنا اجراءاً لإيقاف النزعة الفارسية المتنامية وصدّاً للمجد المجوسي. ولهذا السبب بالذات فإن العديد من شعراء الفرس نظموا القصائد[٤٢] في رثاء الفضل بن سهل، لأنه اعتبر ممثلاً بل رمزاً لآمالهم وتطلعاتهم وطموحاتهم المستقبلية.

---

(٤١) الفخري، ص ١٦٨. - المسعودي، التنبيه والاشراف، ص ٣٠٤

(٤٢) هدارة، المصدر السابق، ص ٨٠.